الدّيانـــــة الزرادشـــتية (مفهومها ومعتقداتــها)

أ.رضوان صالح إبراهيم المقطف ـ قسم الفلسفة ـ كلية الآداب ـ الأصابعة جامعة غريان

البريد الإلكتروني : rodwanalmutef@gmail.com

الملخّـــــــص Abstract :

تناولت في هـذا البحث الديانة الزرادشتية المعروفــة بالمجوسـية ومؤسسها زرادشت وتعد من أهم الديانات التي ظهرت في العالم حيث كانت بمثابة ثورة على العقائد السائدة في ذلك الوقت ، وظهرت في بلاد فـارس (إيران حالياً) وانتشرت انتشـــاراً كبيراً فيها ؛ خاصة بعد اعتناقها من قبل الملوك وخاصة في عهد الملك كشتاسب ملك إيران في ذلك الوقت ، وقد تطرقت في هذا البحث إلى نبي هذه الديانة زرادشت الذي عـرف واشتهر بحبه للحكمة وإيثاره لحياة العزلة والاعتكاف ، ويعد كتاب (الأفســـتاء) الكتاب المقدّس للديانة الزرادشتية الذي يتجاوز عُمره ثلاثة آلاف سنة ويعد المرجعية الأولى لهذه الديانة ، وتناولت- أيضاً - مفهوم الأخلاق عند الزرادشتية وكيف مثلوا العالم في صورة ميدان وصراع بين الخير والشر وموقف الإنسان مـن هذا الصّـراع ، حيثُ ذهبت الزرادشتية إلى أن الإنسان حر الإرادة يفعل ما يشاء ، وأن دعوة زرادشت في أصلها تدعــوا إلى عبادة الإله الواحد خالق كل شيء وهو (آهورامزدا) وغير أنه بمرور الوقت قد طال الديانة الزرادشتية التحريف وأصبحت ديانة ثانوية تعرف بوجود إلاهين أحدهما (آهو رامزدا) إله الخير و(أهريمان) إله الشـــر وهما في صراع دائم ، ويــرى الباحث أنه وعلى الرغم ما قيل في هذه الديانة إلا أنها تعد من أفضل الديانات القديمة التي ظهرت في العالم ومازال أتباعها موجودين حتى الآن .

المقدمـــة Introduction :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد :

تعد الزرادشتية واحـدة من أقـدم الديانات الحية في العالم التي تأست منذ أكثر من ثلاثـــة آلاف سنة ، إذ نشأت في بلاد فارس القديمة (إيران حالياً) ، فقـد عبد الفرس قـوى الطبيعة المختلفة كالشمس والقـمر وغيرها واعتبروا كل منها إلهاً يقدمون له القرابين وكانت هذه الأفعال ممهدة لظهور الدين الزرادشتي ، حيث جاءت هذه التسمية نسبة إلى مؤسسها زرادشت الذي يدعوا إلى التوحيد وعبادة الإله الواحد قبل أن تطال هذه الديانة التحريف وتصبح دين ثانوي يعترف بوجود إلهين .

وواجهت الديانة الزرادشتية كغيرها من الديانات معارضة شديدة في بدايتها إلى أن تم اعتناقها من قبل الملوك في بلاد فارس ، وأصبحت دين الدولة في عصر الإمبراطورية الفارسية ، ويتواجد معظم اتباع هذه الديانة في الوقت الحالي في كل من إيران والهند ، حيث هاجر إليها الزرادشتيون وأقاموا هناك .

ويعد كتاب (الأفستا) الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية فهو يعد المرجعية الأولى لهذه الديانة على الرغم من اختفاء معظم نسخه في فترات زمنية مختلفة ، وقد صور الزرادشتيون العالم في صورة صراع بين الخير والشر وأن الإنسان حر الإرادة يفعل ما يشاء وأن العالم كله يقوم على هذا الصراع الذي سينتصر فيه الخير على الشر في نهاية المطاف ، وقد أثرت الديانة الزرادشتية في الأمم والحضارات المجاورة لها كالإغريق ، أثرت في الديانة اليهودية والمسيحية ، خاصة في مسائل الثواب والعقاب واليوم الآخـــر .

إشكالية البحث :

تتمحور هذه الدراسة حول زرادشت والديانة الزرادشتية ، و- أيضاً - حول الإجابة على العديد من التساؤلات ، أهمها :

ـ من هو زرادشت ؟ وما هي الديانة الزرادشتية ؟ وما أهم الكتب المقدسة في الديانة الزرادشتية ؟ وما مفهوم الأخلاق عند الزرادشتية ؟

ما المرتكز الاعتقادي للديانة الزرادشتية ؟

أهداف البحث :

1- التّعريف بزرادشت والديانة الزرادشتية وكيف ومتى ظهرت هذه الديانة ؟ وهل هي ديانة توحيدية أم لا ؟

2- تسليط الضوء على كتاب الزرادشتية المقدس ، وهل هذا الكتاب مازال موجود حتى الآن أو أجزاء منه فقط ؟

3- بيان أهم الأخلاق والقيم التي تدعوا إليها هذه الديانة .

4ـ التعريف بمفهوم ومضمون العقيدة الزرادشتية .

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في تسليط الضوء على هذه الديانة والتي لا تزال حية حتى الآن وكيف حافظت على وجودها طول تلك القرون وإبراز أهم الأفكار التي تدعوا إليها .

منهج البحث :

المنهج الذي سوف نستخدمه في هذا البحث هو المنهج الوصفي والتاريخي ؛ لأن المنهج الوصفي يصف لنا المراحل وتطور هذه الديانة ، أما المنهج التاريخي فهو لتتبع نشأة وتاريخ هذه الديانة .

المبحث الأول ـ المفهـــوم والنشأة :

أولاً ـ النشـــــأة : من أهم المشاكل التي تواجه الباحث في تاريخ الفرس القديم ، موضوع ديانتهم فقد كانت في العصور السابقة على ظهور الأخمينيين واحدة من الديانات الهندأوربية الوثنية ، يعبدون قوى الطبيعة المختلفة مثل الشمس ، والقمر ، والأرض ، والنار ، والماء والرياح ، واعتبروا كل منها إلهاً ، كانوا يقدمون لها القرابين والأضاحي ، كان يقوم على ذلك طبقة الكهان المجوس [1] ، ولقد كانت هذه الأساطير والتفسيرات ممهدة لظهور الدين الذي اعتنقته فارس بعد ذلك وأثر في حضارتها ، وعاصر الإسلام ، ثم بقى حتى يومنا هذا تحت اسم الدين البارسي ، ولكنه عرف في التاريخ باسم الزرادشتية وعرفه المسلمون باسم المجوسية [2] ، وقد أدت هذه العقائد إلى ظهور الدين الزرادشتي ، فقد هال زرادشت – مؤسس هذا الدين – ما رآه من هذه الآلهة البدائية ، فثار عليها ، وأعلن في شجاعة وصراحة أن ليس في العالم إلا إله واحد ، هو في بلاده (آهورامزا) (هرمزد) إله النور والسماء ، وأن ما عداه من الآلهة مظاهر له ، وصفات من صفاته [3] ، ولا نعرف بالضبط الزمن الذي كان يعيش فيه زرادشت أو المنطقة التي كان يعيش فيها داخل إيران ، واختلف العلماء اختلافاً بيناً ، فمنهم من ذهب إلى القول إن ظهور زرادشت كان قبل ميلاد المسيح بألف وستمائة سنة ، أو بألفين ، بل بستة آلاف سنة ، وقد قام أحد المتخصصين في الدين الزرادشتي هو (جاكسون Jackson)عن طريق دراساته الدقيقة المتعمقة بتحديد زمن ميلاد زرادشت ، فقرر إنه ولد في النصف الثاني من القرن السابع ق.م (618) وتوفي في النصف الأول من القرن السادس ق.م (541) [4] .

واسم " زرادشت (Zarastre (Zarastres " هو الترجمة الإغريقية لـ: (زراثوسترا

Zarathustra) الذي ضمنه (نيتشه Nietzsche) في مسرحيته الشعرية المشهورة [5] .

وقد ذكر زرادشت سبع صفات لآهو رامزدا هي : النور ، والعقل الخير ، والحق ، والجبروت ، والقداسة ، والإحسان ، والخلود ، غير أن أتباع زرادشت – الذين كانوا من قبل يعبدون آلهة متعددين – مثلوا صفات الله في صورة كائنات خالدة مقدسة تحلق العالم ، وتسيطر على تنظيمه وحكمه بأمر من (آهورامزدا) إله الآلهة أو الإله الأعظم ؛ وبذلك تحول مذهب التوحيد إلى فكرة التعدد [6] ، ويحمل هذا الدين في العلم تسميات مختلفة : المزدكية – تيمناً باسم الإله الرئيسي آهورا – مازدا ؛ الزردشتية – على اسم مؤسس الدين النبي الأسطوري زورواشتر (زرادشت) ؛ ودين أفستا (الأفستية) – باسم الكتاب المقدس الرئيسي ؛ وعبادة النار – لدور النار الخاص في هذا الدين ..[7] .

وتعد الزرادشتية من أفضل الديانات القديمة التي ظهرت في هذه المنطقة من العالم حتى قيل إنها تفوقت على ديانات ما بين النهرين ومصر واليونان . يقول (جيمس هنري) برستيد : كانت هذه الديانه من أنبل الديانات التي ظهرت في العالم ، دعت هذه الديانة كل إنسان وأهابت به أن يختار أحد الطريقين ، إما أن يملأ قلبه بالخير والنور ، أو أن ينغمس في الشر والظلمة والحق الذي نستخلصه أن هذه الديانة كانت ثورة على العقائد السائدة ، وعلى طبقة الكهنة الذين إستبد نفوذهم ونصبوا أنفسهم وسطاء بين الله وبين الناس [8] .

وعرفت الزرادشتية انتشاراً واسعاً بعدما أصبحت دين الملوك في إمبراطورية الفرس التي أسسها كورُش الكبير بعد قضائه على بابل عام 538ق.م ، ووضعه حداً للإمبراطورية الكلدانية ، وازدهرت في مقاطعة ميديا مسقط رأس زرادشت ، ونالت دعم الجماعة الميدية المعروفة بالمجوس ... [9] ، ولئن كان عدد الزرادشتيين اليوم قليلاً جداً في أرض نشأتهم ، إلا أن هذا العدد يبلغ في الهند نحو مئتي ألف . وغالبيتهم ما تزال في غوجارات (Gujarat) ، تلك المقاطعة الواقعة في بومباي التي قصدوها منذ البداية، والزائر يتعرف إليهم هناك من النظرة الأولى ، ليس في لونهم الآري الفاتح فحسب ، بل في ملابسهم الجليلة التي تجمع بين القديم والحديث . وكاهنهم يطلق لحيته كلها ويلبس عمامة بيضاء ويرتدي جبّة ناصعة البياض [10] .

هذا وقد قضى زرادشت نحبه حوالي سنة 583 ق.م على أرجح الأقوال وهو في نحو السابعة والسبعين في أحد الهياكل المقدسة في بلخ . ومات قتيلاً وهو يقوم على خدمة النار في أثناء غارة الطورانيين على بلاد إيران ، فقد وصلوا إلى بلخ بينما

كان زرادشت وثمانون من كبار الكهنة يقدمون الوقود للنار في هيكل هذه المدينة ، فهجم عليهم الأعداء وطعنوهم بسيوفهم ، فخر الجميع صرعى ، وسالت دماؤهم فلطخت جدران موقد النار ، وامتدت إلى النار المقدسة نفسها فأخمدتها [11] .

ثانياً ـ كتاب الزرادشتية المقدس (الأبستاق) : إن أي دراسة عن الديانة الزرادشتية ، لابد أن تعتمد على ، وتتطرق بشكل أساسي إلى : ابستاكا ، كتابهم الديني المقدس . فالديانة الزرادشتية ، مثل معظم الأديان الأخرى ، تستند بمعتقداتها وعبادتها وطقوسها إلى كتاب قديم ومقدس ، يؤمن الزرادشتيون إيماناً كاملاً بما ورد فيه ، ويستخدمونه إطاراً مرجعياً دينياً فيما بينهم ، وكتابهم هذا هو الأفستا . والأفستا ، تلفظ باللغات الإيرانية بأشكال مختلفة فهو أوستا ، أبستا ، أفستا وهو الأشهر ، وفي الفهلوية أفستاك ، وفي السريانية ابستاكا ، وفي العربية الأبستاق ... [12] .

أما عن محتويات هذا الكتاب وأسلوبه والطريقة التي كتب بها فيقول : (ديورانت) : " ... وهذا الجزء الباقي يبدو للأجنبي الضيق الفكر كأنه خليط مهوش من الأدعية والأناشيد ، والأقاصيص ، والوصفات ، والطقوس الدينية ، والقواعد الخلقية ، تجلوها في بعض المواضع لغة ذات روعة ، وإخلاص حار ، وسمو خلقي ، أو أغان تنم عن تقى وصلاح ، وهي تشبه العهد القديم من الكتاب المقدس فيما تثيره في النفس من نشوة قوية [13] .

أفستا الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية يتجاوز عمره ثلاثة آلاف سنة ، إنها موسوعة الحضارة ، والثقافة ، والأخلاق ، والأنثروبولوجيا للشعوب الآرية ؛ بل إنها تشهد على عظمة روح وثقافة الشعوب الآرية ، حيث تمثل أقدم وثيقة تاريخية ، ثقافية ، دينية وقانونيـــة مكتوبة تعكس المراسم والطقوس الدينية ، والأفكار الفلسفية ، والأخلاق ، وعلم الفقه ، والشرائع والطب والفلك في المجتمع البدائي الإيراني [14] .

ويـروى مؤرخو العرب أن النص الكامل كان يشتمل على 12000 جلد من جلود البقر ، وتشير إحدى الروايات إلى أنه كان هناك نسختان من هذا الكتاب ، احترقت إحداهما عند إحراق الإسكندر للمقر الملكي في برسوبوليس ، وأما الأخرى فأخذها اليونان معهم إلى بلادهم ، وفي القرن الثالث الميلادي أمر أحد ملوك البارثيين بجمع شتات المنقول والمتداول والقليل المسجل ، وهو الصورة التي نلتقي بها اليوم من هذا الكتاب المقدس والتي هي قانون الزرادشتية منذ القرن الرابع الميلادي وظلت أساس الدين الرسمي حتى القرن السابع الميلادي [15] .

إن (الأفستا) التي بين أيدينا ، هي ربع الأفستا التي كانت في عهد الساسانيين .

يقول كلدنر (Geldner) إن ظهور هذا الكتاب لا يمكن أن يكون قبل سنة 560 ق.م ويزعم ويست (West) أن الأقسام التي تتألف منها (الأفستا) كانت تحتوي على 343 ألف كلمة ، لم يبق منها في (الأفستا) الموجودة الآن سوى 83 ألف كلمة ، ويتضمن (الأفستا) الحالي ســفراً واحداً وصلنا بشكل كامل ، من الأسفار الواحد والعشرين التي تم جمعها وتدوينها في العصر الساساني . وذلك هو سفر (الونديداد) في حين أن الأسفار الأخرى قد أدمجت في سفر (يسنا) و(البندهش) [16].

ومن أهم أجزاء الأبستاق خمسة أجزاء هي :

1- إليسنا : وتتألف من خمسة وأربعين فصلاً من الطقوس الدينية التي كان الكهنة الزرادشتيون يترنمون بها ، ومن سبعة وعشرين فصلاً (من الفصل الثامن والعشرين إلى الرابع والخمسين) وتسمى (الجتها) وتشتمل على أحاديث النبي وما أوحى إليه مصوغة في عبارات موزونة كما يظهر .

2- سفر (الوسيرد) أو (الفسيرد) (Visperd) : ويشتمل على أدعية وصلوات مكملة لما في (اليسنا) وترتل في مناسبات خاصة ، ويبلغ عدد فصوله ثلاثة وعشرين أو سبعة وعشرين فصلاً .

3- البشتات : أي الترنيمات أو المزامير (**Yashts**) وهي إحدى وعشرون ترنيمة تتلى في مدح الملائكة المشرفين على أيام الشهر . فقد كان اعتقادهم أن لكل يوم من أيام الشهر الثلاثين حامياً وحارساً من الملائكة ، وكان يسمى اليوم باسم حاميه وحارسه ، وكان لكل ملك ترنيمة دينية خاصة تتلى باسمه . فلابد أن يكون عدد هذه (الميشتات) في الأصل ثلاثين وأن يكون قد فقد منها تسع (يشتات) [17].

4- الخوردة أفستا ، أي : الأبستاق الصغير . وهو سفر جامع لأدعية وصلوات خاصة بكل وقت من اليوم ، وبالأيام المباركة من الشهر والأعياد الدينية في العام وأوقات الصحة والمرض التي تعرض في الحياة ، ويشتمل كذلك على بعض أحكام العبادات والزواج والزفاف .

5- **الونديدات أو الفانديدات (vendidad) :** أي : القانون المضاد للشياطين ، ويتألف من اثنين وعشرين فصلاً . ويعد أهم مرجع للوقوف على محتويات الديانة الزرادشتية وتفاصيل شرائعها [18]

المبحث الثاني ـ الأخلاق والعقيدة الزرادشتية :

أولاً ـ الأخـــــلاق عند الزرادشتية : صور الزردشتيون العالم في صورة ميدان يصطرع فيه الخير والشر ، أيقظوا بعملهم هذا في خيال الشعب حافزاً قوياً مبعثه قوة

خارجية عن القوى البشرية ، يحض على الأخلاق الفاضلة ويصونها ، وكانوا يمثلون النفس البشرية ، كما يمثلون الكون ، في صورة ميدان كفاح بين الأرواح الخيرة والأرواح الشريرة ، وبذلك كان كل إنسان مقاتلاً ، أراد ذلك أو لم يرده ، في جيش الله أو في جيش الشيطان ... [19] ، وتحدثت الزرادشتية عن موقف الإنسان من هذا الصراع بين الخير والشر ، فذهبت إلى أن الإنسان حر الإرادة ، يفعل ما يشاء ، وأنه كلما فعل الخير ساعد على انتصار قوى الخير ، وكلما فعل الشر أعان بذلك قوى الشر ، وزرادشت يدعو الإنسان إلى فعل الخير حتى يعجل بانتصار قوى الخير على قوى الشر ، وشعار دينه من الناحية الخلقية : فكر خيِّر ، وقول خيَّر ، وعمل خيِّر [20] .

إن العالم كله يقوم على هذا الصراع بين روح الخير وروح الشر ، كما أن القتال الحاصل بين مزارعين مسالمين ولصوص يعيثون فساداً في حقولهم ، هو مظهر من مظاهر هذه المشكلة العالمية . لذا كان لابد من اتخاذ إجراءات متعددة لمواجهة كل عمل من شأنه أن يقود روح الشر إلى النصر ويحث (زارتوسترا) الناس على عمل الخير ، ومحاربة قوى الشر وحلفائها ، كالسرقة ، والحيوانات المفترسة ، والنباتات السامة ، ومع نهاية هذا الصراع ينتصر الخير على الشر فيكافأ الرجال الأبرار وتعاقب الكائنات الشريرة [21] .

ولقد كان زراتشت مصلحاً اجتماعياً هدف بالقواعد التي أتى بها إلى بعث الشعب الإيراني لكي ينهض ، ولم يتخذ من الدين وسيلة إلى التصوف أو الانقطاع إلى العبادة وترك العمل ، فكان من مبادئه أن العبادة هي العمل ، والعمل المثمر في حدود الطبقة التي ينتمي إليها الفرد ، وكان يحث على مكارم الأخلاق ، فهو يطلب من الفرد أن يعمل عملاً طيباً ، وأن يقول قولاً طيباً ، وأن يفكر فكراً طيباً ، وهو يجعل الكذب شر الرذائل ، وبجانب ذلك وضع نظاماً للطبقات ، كما أقام الأسرة على أسس كانت مقبولة في وقته [22] .

وقد حض زراد تشت على الوفاء بالوعد واجتناب خداع الناس والكذب ، كما أوصى بالابتعاد عن الاستدانة ، وقد قال (هيرودوت) : إن الفرس يعلمون أبنائهم ثلاثة أشياء : ركوب الخيل ، والرمي بالقوس ، وقول الصدق [23] .

وعلم زرادتشت الناس - أيضاً - أنه عندما يفعل المرء خيراً ، فإن فعله الخير لا يسجل في كتاب حياته فحسب فيكافأ عنه ، بل إن فاعل الخير يضيف بعمله خيراً إلى خير العالم . وإذن فمن واجب الإنسان أن يفعل الخير لا من أجل الثواب الذي يناله فحسب ، لأنه عندما يفعل الخير يضيف إلى خير العالم ويساعد آهورامزدا في كسب معركته

ضد أهرمان روح الشر وفاعل الشر مرتبط بروح الشر أما فاعل الخير فهو يقاتل من أجل الإله الحكيم [24] .

وقوام الأخـــــلاق عند زرادتشت ثلاثة أمور : الفكر الطيب ، والكلام الطيب ، والعمل الطيب ، وكان لا يقبل دخول أحد في الدين الزرادشتي إلا بعد أن يؤخذ عليه بهذه الأمور ميثاق مدونة صيغته في الأبستاق وينتهي بالعبارة الآتية : " لن أقدم على سلب أو نهب أو تدمير ، أو تخريب ، أقر أني أعبد آهورامزدا ، وأعتنق دين زرادشت ، والتزم التفكير في الخير والكلام الطيب والعمل الصالح [25] وبيَّن زرادشت أن غاية الإنسان ينبغي أن تكون فعل الخير دائماً ، وأن طبيعته الخيرة تدعوه إلى ذلك ، وتحول بينه وبين أن يصنع بغيره أمراً لا يحبه لنفسه ، وقد حددت الأفستا واجبات الإنسان ، وحصرتها في ثلاثة أمور هي : أن يعمل على جعل العدو صديقاً ، والشرير صالحاً ، والجاهل عالماً ، وبينت أن أعظم الفضائل هي : الصلاح والشرف والأمانة في الأقوال والأفعال [26] .

ومجمل القول إن زرادشت دعى إلى التحلي بست خصال هي :

1- طهارة الفكر والكلمة والعمل .
2- النظافة والبعد عن كل ما هو دنس .
3- الإحسان بالفعل والقلب .
4- الرفق بالحيوانات النافعة .
5- القيام بالأعمال النافعة .
6- مساعدة الذين لا يتيسر لهم تحصيل التعليم بتعليمهم .

إن هذه الروح الطاهرة وتلك الأخلاق الحميدة تجعل من الزرادشتية ديانة إنسانية تسعى إلى بناء مجتمع تسوده روح المحبة والتعاون وتربط الاتباع برباط قوي ، وترقى بالنفس في أعلى درجات الرقي والطهارة [27] .

ثانياً ــ المرتكز الاعتقادي عند الزرادشتية : إن حركة الإنسان التعبدية في العقيدة الزرادشتية ليست مرادة لحياة فانية تزول بموت صاحبها ، بل مردة لحياة باقية يسعد فيها أو يشقى إلى ما لا نهاية ، فورد في الابتساق ما حكاه زرادشت عن ربه مخاطباً الناس جميعاً : " أيها الإنسان الفاني إن الله هو الذي خلق السعادة والشقاء فإذا أنت امتثلت لأوامره واجتنبت نواهيه ، فحتماً ستفوز بالسعادة الأبدية ، أما الشقاء والعذاب الطويل فمن نصيب الأشرار العصاة " [28] .

وجاءت دعوة زرادشت في أصلها تدعوا إلى عبادة إله واحد هو : (أهورامازدا) رب الخليقة ، والحياة ، والمادة والروح ، وهو المحرك الذي لا شكل له ، ولا حدود له ،ولا نهاية له في القانون الأبدي ، نموذج الكون الذي يسرى على كل البشرية في كل الأزمنة .

ويواصل زرادشت دعوته شارحاً للناس دعوته الجديدة التي يعلنها على الناس ويدعوهم لاعتناقها [29] . غير أنه يظهر أنه قد دخل الديانة الزرادشتية فيما بعد كثير من التحريف والتبديل ، فانتهى بها الأمر في عصورها الأخيرة إلى أن أصبحت ديانة مثنوية أو ثنوية أي تعتقد بوجود إلاهين : أحدهما (أهورامزدا) وتجعله إلهاً للخير ؛ والآخر (أهريمان) وتجعله إلهاً للشر ، وتعتقد أن بينهما صراعاً دائماً ، لأن كليهما يرمي إلى السيطرة على العالم ؛ مع أن (أهريمان) هذا – وهو في الأصل (أنكره مينو) ومعناه الخبث أو الشر – لا يذكر في الأسفار المقدسة للزرادشتيين في مقابل (أهورامزدا) على أنه شريك له ، ولكنه يذكر في مقابل (سبنتامينو) ومعناه القدسية أو الخـــيرية ، فلم يكن في أصل العقيدة الزرادشتية إلاهان ، وإنما كان فيها قوتان متضادتان أو مجموعتان من القوى المتضادة [30] .

وقد قال المؤرخون المسلمون الذين تحدثوا عن زرادشت ودينه إن أتباعه يعبدون الشمس ، والقمر ، والنجوم ، ويقدسون عناصر الطبيعة ، وهذا يدل على أن تلك البقايا الآرية قد لازمت هذا الدين طوال العصور ، وليس هذا بغريب ، فأكثر المصلحين الدينيين لم يستطيعوا أن يقضوا قضاء تاماً على العقائد التي كانت يعتقد بها أقوامهم قبل زمان ظهورهم . فكان المصلح الديني يستبقي بعض العقائد السائدة ، وهذا بالطبع كان يساعد على نجاح دعوته ، إذ أن المخالفة التامة الكاملة لما يعتقد به الناس وقت الدعوة تجعل مهمة النبي أو المصلح الديني عسيرة؛ بل مستحيلة [31] .

ولما كانت التقوى أعظم الفضائل على الإطلاق ، فإن أول ما يجب على الإنسان في هذه الحياة أن يعبد الله بالطهر والتضحية والصلاة ، ولم تكن فارس الزرادشتية تسمح بإقامة الهياكل أو الأصنام ، بل كانوا ينشئون المذابح المقدسة على قمم الجبال ، وفي القصور ، أ في قلب المدن ، وكانوا يوقدون النار فوقها تكريماً لأهورا - مزدا أو لغيره من صغار الآلهة . وكانوا يتخذون النار نفسها إلهاً يعبدونه ويسمونها أنار ، ويعتقدون أنها ابن إله النور ، وكانت كل أسرة تجتمع حول موقدها ، تعمل علـــى أن تظل نار بيتها متقدة لا تنطفئ أبداً ؛ لأن ذلك من الطقوس المقررة في الدين [32] .

وتوجب الديانة الزرادشتية الإيمان باليوم الآخـــر والبعث والنشور والحساب والجنة والنار على وجه لا يختلف كثيراً في جملته بل لا يختلف كثيراً في تفاصيله نفسها عما يقرره الإسلام . فتقرر عقائدهم أن الساعة ستقوم على إثر حادث فلكي . وذلك أن كوكباً يصطدم بالأرض ، فتميد بالناس، وتخر الجبال هداً، وتذوب العناصر ، ويصهر النحاس ، ويسيل إلى جهنم ، ويفنى أهريمان وأنصاره من الشياطين ، ويغسل الناس في منصهر النحاس ، ويجده الصالحون برداً وسلاماً [33] .

وكان للزرادشتية أثر كبير في العالم الإغريقي بعد غزو الإسكندر لبلاد فارس ، وهو أثر ظهر في المسيحية ، كما امتد أثر الزرادشتية إلى الديانة اليهودية وإلى العرب قبل الإسلام ، وإلى العقائد الإسلامية . وظهر هذا الأثر ، على وجه الخصوص ، في الأفكار المتعلقة بالثواب والعقاب والدينونة واليوم الأخير في المسيحية والإسلام . غير أن الإسلام كان أقوى من الزرادشتية وبقية الأديان في الجزيرة العربية ، فتغلب عليها ، وعندما امتد إلى بلاد فارس ضعفت الزرادشتية إلى حد بعيد ، خصوصاً بعد مقتل آخر الحكام الساسانيين عام 652م ؛ لكن المسلمين الأوائل تسامحوا مع اتباع الديانة الزرادشتية لمساواتهم بالذين أنزل إليهم كتاب مقدس كاليهود والمسيحيين . أما الاضطهاد الذي عرفه الزرادشتيون في بلاد فارس فلم يحصل على أيدي العرب [34] .

الخاتمـــــة :

من خلال ما تضمنه هذا البحث عن الديانة الزرادشتية تبين أن زرادشت شخصية لم تخلوا مـــن الأساطير التي أحاطت به بكثير من القدسية وخاصة عند اتباعه الذين كانوا من قبل ظهوره يعبدون آلهة متعددة حيث ذهبوا إلى تمثيل صفات الله في صور كائنات حية مقدسة . وقد حملت الديانة الزرادشتية معها تنظيم حياة الناس من خلال الأفكار والمثل الإنسانية التي تدعوا لها وقد رأى بعض المفكرين فيها الكثير من الإيجابيات عن أسرار الخلق والطبيعة وحياة الناس وعالم ما بعد الموت . وهذا ما أشار إليه الباحث في الحديث عن الكتاب المقدس .

كذلك تحدث الباحث عن الأخلاق والعقيدة الزرادشتية حيث يتبين أن المبادئ الأخلاقية للدين فيها الأفكار الطيبة والكلمة والعمل الطيب التي تدعوا لها هذه الديانة ، حيث حثت هذه الديانة على مكارم الأخلاق والوفاء بالعهد وهذه صفات تدعوا لها كل الأديان السماوية .

غير أنه في عصور متأخرة قد دخلت هذه الديانة فكرة التثنية وأصبحت تعتقد بوجود إلاهين وبهذا انحـــرفت عن أصلها وجوهرها وهو التوحيد .

ويرى الباحث أنه على الرغم من كل الأقاويل حول هذه الديانة وما تعرضت له إلا أنها قد شغلت حيزاً مهماً في تاريخ الشرق ، وإنها تحتاج إلى دراسة واهتمام ، وما هذا البحث إلا محاولة للوقوف على بعض جوانبها .

الهوامـــــــــش :

1- جميلة عبد الكريم محمد ، 1996م ، قورينائية والفرس الأخمينيون منذ إنشاء قوريني حتى سقوط أسرة باتوس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص231 .
2- علي سامي النشار ، د.ت ، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، ج1 ، دار المعارف ، القاهرة ، ط9 ، ص191 .
3- إبراهيم زرقانة وآخرون ، د.ت ، حضارة مصر والشرق القديم ، دار مصر للطباعة ، ص446 .
4- سعيد مراد ، د.ت ، المدخل في تاريخ الأديان ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، مصر ، ص141 .
5- أ.ف . توملين ، د.ت ، فلاسفة الشرق ، ترجمة : عبد الحميد سليم ، مراجعة : علي أدهم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط2 ، ص146 .
6- إبراهيم زرقانة وآخرون ، د.ت ، مرجع سابق ، ص448 .
7- سيرغى أ. توكاريف ، 1998م ، الأديان في تاريخ الشعوب ، ترجمة : أحمد فاضل ، الأهالي للنشر والتوزيع ، ص355 .
8- سعيد مراد ، د.ت ، مرجع سابق ، ص140 .
9- أديب صعب ، 2005م ، الأديان الحية نشوؤها وتطورها ، دار النهار للنشر ، بيروت ، ط3 ، ص110
10- المرجع نفسه ، ص114 .
11- علي عبد الواحد وافي ، 1964م ، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة ، على الإسلام ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ط1 ، ص134 .
12- جمشيد يوسفي ، 2012م ، الزرادشتية الديانة والطقوس والتحولات اللاحقة ، بناء على نصوص الأفستا ، مكتبة زين بيروت ، دار الوسام العربي ، الجزائر ، ط1 ، ص35 .
13- سعيد مراد ، 2000م ، مرجع سابق ، ص147 .
14- خليل عبد الرحمن ، 2008م ، أفستا الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية ، روافد للثقافة والفنون ، دمشق ، ط2 ، ص7 .
15- نجيب ميخائيل إبراهيم ، 1967م ، حضارة الشرق القديم العراق – فارس ، دار المعارف ، ط2 ، ص437 ، 438 .
16- جمشيد يوسفي ، 2012م ، مرجع سابق ، ص35 ، 36 .
17- سعيد مراد ، 2000م ، مرجع سابق ، ص148 .
18- المرجع نفسه ، ص149 .
19- ول وايريل ديورانت ، د.ت ، قصة الحضارة ، ترجمة : محمد بدران ، ج2 من المجلد الأول ، دار الجبل ، بيروت ، تونس ، ص431 .
20- محمد عبد السلام كفافي ، 1970م ، في أدب الفرس وحضارتهم ، نصوص ومحاضرات ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص200 .
21- محمود أمهز ، 2010م ، في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، دار النهضة العربية ، منتدى سور الأزبكية www.BooksuALL.NET ، Https://www.facebook.com/booksuoll.net ص308 .

22- أحمد آمين سليم ، 2000م ، دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم ، تاريخ العراق – إيران ، آسيا الوسطى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ص349 .
23- محمد عبد السلام كفافي ، 1970م ، مرجع سابق ، ص217 .
24- سليمان مظهر ، 1995م ، قصة الديانات ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ص315 .
25- علي عبد الواحد وافي ، 1964م ، مرجع سابق ، ص155 .
26- إبراهيم زرقانة وآخرون ، د.ت ، مرجع سابق ، ص449 .
27- سعيد مراد ، 2000م ، مرجع سابق ، ص156 .
28- الشفيع الماحي أحمد ، 2001م ، زرادشت والزرادشتية ، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، العدد 21 ، جامعة الكويت ، ص43 .
29- سعيد مراد ، 2000م ، مرجع سابق ، ص150 .
30- علي عبد الواحد وافي ، 1964م ، مرجع سابق ، ص144 .
31- محمد عبد السلام كفافي ، 1970م ، مرجع سابق ، ص195 .
32- ول وايريل ديورانت ، د.ت ، مرجع سابق ، ص432 ، 433 .
33- علي عبد الواحد وافي ، 1964م ، مرجع سابق ، ص149 .
34- أديب صعب ، 2005م ، مرجع سابق ، ص114 .